المحاضرة الثالثة : نصوص من خطب صدر الإسلام

تمهيد:

إذا عصر صدر الإسلام كما أسلفنا هو ما يشمل عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين الذي ينتهي باستشهاد الخليفة الرابعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة 41ه، ومن يقرأ تاريخ هذه الفترة يجد كثرة الأحداث وتوالي النوازل، التي فتحت فضاء واسعا لفن الخطابة، فمن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حركات الردة ومنع الزكاة إلى الفتن في عصر عثمان رضي الله عنه، واختلاف المسلمين بعد استشهاده، خاصة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وظهور تيارات سياسية / دينية كالزبيريين والخوارج والشيعة، ونحن في هذه المحاضرة ستتناول نصوصا نبوية، ونصوصا للخلفاء الراشدين بحسب ما وصلنا عنهم في كتب السيرة والحديث والتاريخ والأدب :

الخطابة في العصور الإسلامية :

إنَّ المتأمل للخطب في العصور الإسلامية المختلفة يجد أنها في الغالب جاءت متناولةً ثلاثة موضوعات رئيسة، تجسِّد الواقع السياسي والاجتماعي والمناسبتي للأمة الإسلامية آنذاك، وهي كالآتي :

أولا: الخطابة السياسية :

وهي الخطب التي جاءتنا عن الخلفاء والأمراء في حديثهم عن شؤون الدولة المختلفة، وتنصيب الولاة والأمراء وتنحيتهم، وما قيل في عصور النزاعات والحروب والثورات، من مثل الخطب التي قيلت في نزاع علي ومعاوية رضي الله عنهما على الخلافة، وأيضا ما كان من الأحزاب السياسية : الحزب الأموي والشيعة والخوارج والزبيريين والموالي، ولعلَّ أشهر الخطب السياسية ما كان في العصر الأموي، الذي جاء حافلا بالأحداث والنزاعات.

ثالثا : الخطب المناسباتية :

وهي الخطب التي تقال في مناسبة من المناسبات الدينية المعروفة بين الناس، كخطب الجمع والأعياد وكالدعوة إلى الجهاد في سبيل الله والإخبار بالنصر، وقد كان الخلفاء والولاة والقضاة يقومون بهذه الأنواع من الخطب، ومن أمثلة هذه الخطب ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد فشل التحكيم بينه وبين معاوية رضية الله عنه : « الحمد لِلَّهِ وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدثان الجليل، وأشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّهِ، أَمَّا بَعْدُ، فإن المعصية تورث الحسرة، وتعقب الندم، وَقَدْ كنت أمرتكم فِي هَذَيْنِ الرجلين وفي هَذِهِ الحكومة أمري، ونحلتكم رأيي، لو كَانَ لقصير أمر! ولكن أبيتم إلا مَا أردتم، فكنت أنا وَأَنْتُمْ كما قَالَ أخو هوازن:

أمـــــرتهم أمـــــري بمنعـــــرج اللـــــوى فلـــم يســـتبينوا الرشـــد إلا ضـــحى الغـــدِ

أَلا إن هَذَيْنِ الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قَدْ نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا مَا أماته القرآن، واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من اللَّه، فحكما بغير حجة بينة، وَلا سنة ماضية، واختلفا فِي حكمهما، وكلاهما لم يرشد، فبرئ اللَّه منهما ورسوله وصالح الْمُؤْمِنِينَ. استعدوا وتأهبوا للمسير إلى الشام » [1]

مما سبق يتبين لنا « أن الخطابة التي كانت في العصر الجاهلي تلبي في الحياة مطالب بعينها، وترتبط بمواقف معينة، قد صارت الحاجة إليها في العصور الإسلامية أكثر إلحاحا، ولكنها صارت في الوقت نفسه فنا يعلم ويلقن، وقد كانت في كل الأحوال مجلى من مجالي الثقافة العربية » [2]

الخَطَابَةُ النَّبَوِيَّةُ:

لا خلاف في أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد جاء هاديا مهديا بعثه الله للعرب والناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد حباه الله بالفصاحة والبلاغة بما ليس لغيره من البلغاء والفصحاء، فأوتي جوامع الكلم

---

[1] - المرجع نفسه، ج05، ص 77.

[2]- عز الدين إسماعيل، المكونات الأولى للثقافة العربية (دراسة في نشأة الآداب والمعارف العربية وتطورها)، مرجع سبق ذكره، ص 103.

حقوق تأليف هذه المحاضرات محفوظة للدكتور طارق زياد

واختصر له القول اختصارا ♣ ، فكان خطيبا مفلقا وواعظا مؤثرا، ولعل الذي وصلنا في خطبه أنه كات تارة يطيل الخطبة وتارة يوجزها على حسب الداعي والمقتضى، والملاحظ أن كتب الأدب لن تحفظ لنا من هذا التراث إلا خطبا قليلة بالقياس مع ما يفترض أنه خطب به الناس في الجمع والأعياد والنوازل المختلفة، وفيما يلي بعض منها :

فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف : «كَانَتْ أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ، تَعْلَمَنَّ وَاللهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ لَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ: أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ، وَآتَيْتُكَ مَالًا، وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ، فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ فَلَيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَا يَرَى شَيْئًا، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَّامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشَرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ » [1]

وعَنْ أَبِي إِسحاق قال : « خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنَّ الْحَمْدَ للَّه، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ باللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهِ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ خِيرَتَهُ مِنْ الْأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَالصَّالِحَ مِنْ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ [1] الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَاصْدُقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ، وَالسِّلَامُ عَلَيْكُمْ » [2]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: " فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ " قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: " فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ "، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ "، قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: " أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ " قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: " أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ

♣- وقد أجاد الجاحظ بما لا مزيد عليه في وصف عظمة المنطق المحمدي، وفي ذلك في قوله : « وأنا ذاكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلّى الله عليه وسلّم، وهو الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: قل يا محمد: وَما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ. فكيف وقد عاب التشديق، وجانب أصحاب التقعيب، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته.لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطىء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم كثيرا. » البيان والتبيين، ج 02، ص16- 18.

[1] - أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج02، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1405ه، ص 524.

[2] - أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ج01، تح : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط02، 1955، ص 500.

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ " قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا »[1]

وغير خاف علينا خطبة حجة الوداع التي تعدُّ أطول خطبه صلى الله عليه وسلم، والتي لم نذكرها لشهرتها بين الناس.

خُطَبُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ :

ما إن قبض صلى الله عليه وسلم والتحق بالرفيق الأعلى حتى ترك أصحابه من بعده « مشبعين بنور الإيمان، تمثل الإسلام في عقولهم وقلوبهم، ومنهم الخلفاء الراشدين، الذين استلموا زمام الأمور، وكانت خطبهم استمرارا لترسيخ التعاليم الإسلامية في نفوس الناس، وللعمل على نشر تلك التعاليم في مشارق الأرض ومغاربها »[2] ولهذا اتبعوا طريقه وهديه صلى الله عليه وسلم، فكانوا خطباء مصقعين، جعلوا من الخطبة وسيلة لنشر الدين وتبليغ الدعوة، وفيما يلي سنمثل بجملة من خطب الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم :

أ/ **خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه** : فعن عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ ضَعُفْتُ فَقَوِّمُونِي، وَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، الضَّعِيفُ فِيكُمُ الْقَوِيُّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالْفَقْرِ، وَلَا ظَهَرَتْ - أَوْ قَالَ: شَاعَتِ - الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّمَهُمُ الْبَلَاءُ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ، قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمْكُمُ اللَّهُ »[3]

ب/ **خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه** : من المعلوم أن خلافة عمر رضي الله عنه كانت خلافة فتح وغزو، ولهذا كثرة خطبه ووصاياه من ذلك ما كان يقوله عند عقد الألوية: « باسم الله وبالله وعلى عون الله، امضوا بتأييد الله والنصر ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات »[4]

ج/ **خطبة علي رضي الله عنه رضي الله عنه** : إذا كان عثمان رضي الله عنه من أقل الخلفاء خطابة، فإن عليا رضي الله عنه من أكثرهم خطبا، ومن أبرعهم وأقدرهم عليها، حتى إن " **نهج البلاغة** " يضم عددا كثيرا منها، منها ما هو صحيح النسبة، ومنه ما هو مشكوك في نسبته إليه، ♥ من ذلك خطبته أثناء معركة صفين بين جيشه وجيش معاوية التي يقول فيها : « اللَّهُمَّ رب السقف المرفوع، المحفوظ المكفوف، الَّذِي جعلته مغيضا لليل والنهار، وجعلتفِيهِ مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم، وجعلت سكانه سبطا من الملائكة، لا يسأمون العبادة ورب هَذِهِ الأرض الَّتِي جعلتها قرارا للأنام، والهوام والأنعام، وما لا يحصى مما لا يرى ومما يرى من خلقك العظيم ورب الفلك التي تجري فِي البحر بِمَا ينفع الناس، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض، ورب البحر المسجور

---

[1] - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ج18، تح : شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط01، 2001، ص 253- 255.

[2]- واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1994، ص160.

[3]- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج07، تح : عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط01، 2000، ص 571.

[4]- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج06، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، ط01، 1423 هـ، ص 170.

♥- يقول عند شوقي ضيف : « وأما علي بن أبي طالب، فإنه لم يكن يقل عن أبي بكر وعمر شأوا في خطابته، وقد أثرت عنه خطب كثيرة، ولا نقصد الخطب التي يحتويها بين دفتيه كتاب "**نهج البلاغة**"، فأكثره مصنوع ومحمول عليه، وقد أشار إلى ذلك كثير من العلماء، واختلفوا هل هو من عمل الشريف المرتضى المتوفى سنة 436 للهجرة، أو هو من عمل أخيه الشريف الرضي المتوفى سنة 406 للهجرة » الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط13، ص 61.

حقوق تأليف هذه المحاضرات محفوظة للأستاذ زكريا طارق زيناي

المحيط بالعالم، ورب الجبال الرواسي الَّتِي جعلتها للأرض أوتادا، وللخلق متاعا، إن أظهرتنا عَلَى عدونا فجنبنا البغي، وسددنا للحق، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة، واعصم بقية أَصْحَابي من الْفِتْنَة » [1]

ويقول كذلك في خطبة له في آخر أيام حياته، حين رأى تقاعس وتخاذل كثير من جنوده أمام الحملات العسكرية لجيش معاوية على أطراف العراق بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه : « أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، ولزمه الصّغار، وسِيمَ الخسفَ، ومُنِعَ النَّصْفَ. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم، وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريّا، حتى شنّت عليكم الغارات. هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقتل حسان- أو ابن حسان- البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، وقتل منكم رجالا صالحين. ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المسلمة والأخرى المعاهدة، فينزع حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَرِعَاثَهَا ♥ ثم انصرفوا وافرين، ما كُلِمَ رجل منهم كَلْمَاً، فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا، ما كان عندي به ملوما، بل كان به عندي جديرا. فيا عجبا من جِدِّ هؤلاء القوم في باطلهم، وفشلكم عن حقكم. فقبحا لكم وترحا، حين صرتم هدفا يرمى، وفيئا ينتهب، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: حمَّارة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحرّ وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم: أمهلنا ينسلخ عنا القرّ. كلّ ذا فرار من الحر والقر. فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال، وددت أن الله قد أخرجني من بين ظهرانيكم وقبضني إلى رحمته من بينكم. والله لوددت أني لم أركم، ولم أعرفكم. معرفة والله جرّت ندما. قد وريتم صدري غيظا، وجرّعتموني الموت أنفاسا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: ابن أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم، وهل منهم أحد أشدّ لها مراسا أو أطول لها تجربة مني؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين، فهأنذا قد نيفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع. » [2]

ومما يذكر في هذا الصدد بعض الخطب عن الصحابة رضوان الله عليهم، من ذلك خطبة عبد الله بن مسعود، وهي تندرج ضمن الخطب الدينية ذات المضمون الوعظي الإرشادي، التي يقول فيها : « أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم، وأحسن السّنن سنة محمد صلّى الله عليه وسلّم، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور عزائمها، ما قل وكفى خير مما أكثر وألهى. نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها، خير الغنى غنى النفس. خير ما ألقى في القلب اليقين. الخمر جماع الآثام. النساء حمالة الشيطان. الشباب شعبة من الجنون. حب الكفاية مفتاح المعجزة. من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دبرا. ولا يذكر الله إلا نزرا. أعظم الخطايا اللسان الكذوب. سباب المؤمن فسق، وقتاله كفر. وأكل لحمه معصية. ومن يتألَّ على الله يكذبه ومن يغفر يغفر له. مكتوب في ديوان المحسنين: من عفا عفي عنه. الشقي من شقي في بطن أمه. السعيد من وعظ بغيره. الأمور بعواقبها. ملاك الأمر خواتمه. أحسن الهدي هدي الأنبياء.أقبح الضلالة بعد الهدى. أشرف الموت الشهادة. من يعرف البلاء يصبر عليه. من لا يعرف البلاء ينكره. » [3]

---

[1]- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج05، دار التراث، بيروت، لبنان، ط02، 1387 هـ، ص 14- 15.

♥- الحِجل : هو الخلخال، والقُلب بالضم : هو السوار، الرِعث : هو القرط.

[2] - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،ج02، مصدر سبق ذكره، ص53- 55.

[3] - المصدر نفسه،ج02، ص56- 57.

جميع حقوق الملكية الفكرية محفوظة للأستاذ الدكتور طارق زيناي